المكتبة الخضراء للأطفال

٢٥

DUDARAB

الصَيّاد الماهرُ

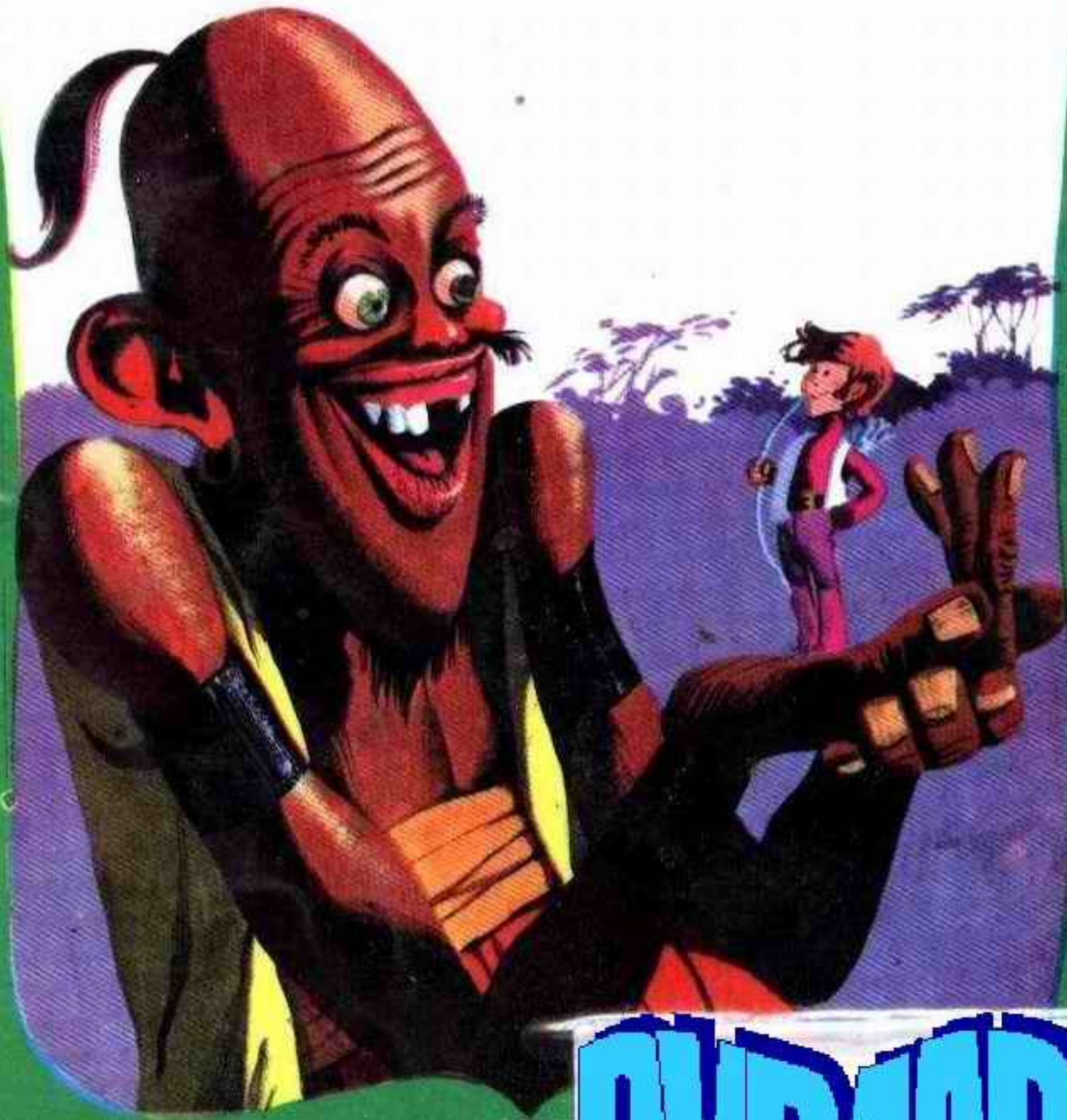

بقلم: عادل الغضبان

المعارف

DUDARAB

المكتبة الخضراء للأطفال

(٢٥)

الصَيّاد الماهِرُ

بقلم: عادل الغضبان

الطبعة الثالثة عشرة

كانَ لِرَجُلٍ فِى الزَّمَنِ الْبَعِيدِ أَبْنَاءٌ ثَلاثَة ؛ وَكانَ كُلٌّ مِنَ الاِبْنِ الْأَكْبَرِ وَالاِبْنِ الْأَوْسَط يَقْضِى وَقْتَهُ فِى شَحْذِ سَيْفِه ، وَيَقُول : إِنِّى بِهٰذَا السِّلَاحِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْتَصِرَ عَلَى جَمِيعِ أَعْدَائِى . أَمَّا الاِبْنُ الْأَصْغَرُ فَكانَ مَشْغُولاً بِبَرْىِ السِّهَام ، حَتَّى يَشُدَّهَا إِلَى قَوْسِهِ ، وَيُصِيبَ بِهَا أَبْعَدَ الْأَهْدَاف .

وَفِى لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِى ، رَأَى الاِبْنُ الأَصْغَرُ فِى مَنَامِه ، شَيْخًا قَصِيرَ الْقَامَة ، يَقْتَرِبُ مِنْهُ وَيُوقِظُه ، وَيَضَعُ فِى كَفِّهِ وَرَقَةً فِيهَا خُطُوطٌ رَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضَهَا الآخَرَ ، وَيَقُولُ لَه :

— « إِلَيْكَ هٰذِهِ الْوَرَقَة ، فَهِىَ تُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّكَ سَتَذْهَبُ بَعِيدًا فِى هٰذَا الْعَالَم ، إِذَا كُنْتَ لاَ تَخَافُ مِنْ شَىْءٍ وَلاَ تَهَابُ أَحَدًا » .

وَطَلَعَ الصُّبْح ، وَتَبَدَّدَ الْحُلْم ، وَكَانَتِ الْوَرَقَةُ لاَ تَزَالُ شُغْلَ الاِبْنِ الأَصْغَرِ ، وَلاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يُفَسِّرُهَا . فَذَهَبَ يَلْقَى أَبَاهُ وَيَسْتَأْذِنُهُ فِى رِحْلَةٍ حَوْلَ الْعَالَم .

فَلَمَّا طَارَ النَّبَأُ إِلَى أَخَوَيْه ، جَاءَا إِلَى أَبِيهِمَا ، وَقَدْ تَقَلَّدَ كُلٌّ مِنْهُمَا سَيْفَه ، وَقَالاَ لَه :

— « اِسْمَحْ لَنَا يَا وَالِدَنَا الْكَرِيم ! أَنْ نَصْحَبَ أَخَانَا فِى

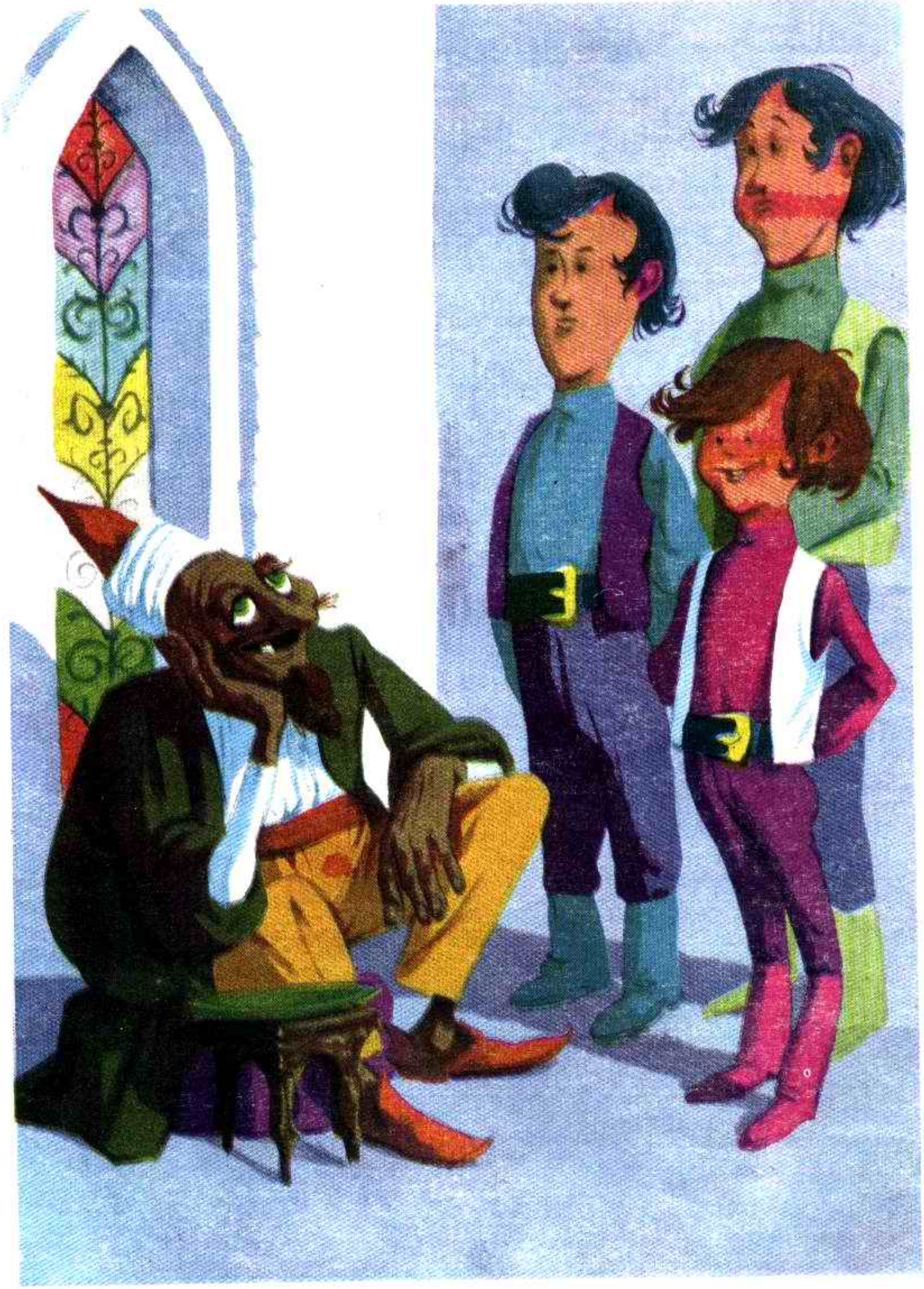

رِحْلَتِهِ حَوْلَ الْعَالَم، فَلَنْ نَكُونَ أَقَلَّ مَهَارَةً مِمَّنْ يَمْلِكُ الْقَوْسَ وَالسِّهَام » .

وَكَانَ الْوَالِدُ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَدَعَهُمْ يَرْحَلُونَ ، ولاَ يَوَدُّ فِى

الْوَقْتِ نَفْسِه ، أَنْ يَجْعَلَهُمْ يَعْدِلُونَ عَنْ رَغْبَتِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ بَعْدَ تَفْكِيرٍ قَلِيل :

– «اِفْعَلُوا يَا أَبْنَائِي ، مَا تَرَوْنَ أَنَّهُ الصَّوَاب» .

ثُمَّ أَعَدَّ الْوَالِدُ لَهُمْ مُعَدَّاتِ الرِّحْلَة ، فَسَارَ الْأَخَوَانِ الْأَكْبَرُ والْأَوْسَط ، وقَدْ اعْتَمَدَا عَلَى سَيْفَيْهِمَا ، فِي حِينَ اعْتَمَدَ الْأَخُ الْأَصْغَرُ عَلَى قَوْسِهِ وَسِهَامِه ... ولاَ تَسْأَلْ عَنِ الْأُمِّ كَيْفَ وَدَّعَتْ أَبْنَاءَهَا ، والدُّمُوعُ تَسِيلُ عَلى خَدَّيْهَا .

ومِمَّا لاَشَكَّ فِيهِ أَنَّ شَبَابَنَا الثَّلاثَة غَادَرُوا مَنْزِلَ الْوَالِدَيْن، والْحُزْنُ يَمْلأُ قُلُوبَهُمْ ، وَلَـكِنَّهُمْ مَا إِنْ ابْتَعَدُوا قَلِيلاً حَتَّى عَمَّ السُّرُورُ صُدُورَهُم .

وَاصَلَ الْمُسَافِرُونَ الثَّلاثَةُ مَسِيرَهُمْ ،فَوَصَلُوا إِلَى فُنْدُقٍ يَمْلِكُهُ الْمَلِك، وَكَانَ عَلَى مُدِيرِ الْفُنْدُق ، بِأَمْرِ الْمَلِك ،

أَنْ يَسْتَضِيفَ جَمِيعَ الْمُسَافِرِينَ ، فَدَخَلُوهُ وَلَقُوا مِنْ عِنَايَةِ الْقَائِمِينَ عَلَى الْفُنْدُق، ما أَطْلَقَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالشُّكْرِ وَالثَّنَاء .

وَتَابَعَ الإِخْوَةُ الثَّلاثَةُ رِحْلَتَهُمْ مُنْشَرِحِي الصُّدُور ، حَتَّى بَلَغُوا غَابَةً مِنَ الْغَابات ، كَثِيفَةَ الشَّجَرِ وَالْغُصُون ، لاَ عُصْفُورَ يَطِيرُ فِيهَا، وَلاَ يَأْوِي إِلَيْهَا أَيُّ حَيَوَانٍ كان . وَمَضَوْا يَسِيرُونَ فِيهَا وَهِيَ لاَ تَنْتَهِي ، إِلَى أَنْ هَبَطَ اللَّيْل ، فَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ أَنْ يَقْضُوا اللَّيْلَ فِيهَا ، عَلَى أَيِّ

وَجْهٍ يَكُون ، فَتَفَرَّقُوا فِى الْغَابَةِ يَجْمَعُونَ كَمِّيَّةً كَبِيرَةً مِنَ الْحَطَبِ ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِى مَكَانٍ مِنْهَا ، وَأَشْعَلُوا النَّار ، وَعَقَدُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ الاتِّفَاقَ الْآتِى :

« عَلَى مَنْ يَقْضِى اللَّيْلَ سَهْرَانَ حَارِسًا ، أَلاَّ يُوقِظَ أَخَوَيْهِ مَهْمَا حَدَث ، وَأَلاَّ يَقُصَّ عَلَيْهِمَا ، حِينَ يَسْتَيْقِظَان ، أَحْدَاثَ اللَّيْلِ - وَإِنْ تَعَرَّضَتْ حَيَاتُهُ لِلْخَطَرِ - وَعَلَيْهِ كَذٰلِكَ أَلاَّ يَتْرُكَ النَّارَ تَخْمُد ، وَإِلاَّ فَقَدَ نَصِيبَهُ مِنْ مَكَاسِبِ الصَّيْد » .

اِتَّفَـقَ الْإِخْوَةُ عَلَى هٰذَا وَنَفَّذُوه ، فَحَطَّمُوا الْحَطَبَ الَّذِى جَمَعُوه ، وَأَشْعَلُوا فِيهِ النَّار ، وَارْتَفَعَتْ أَلْسِنَةُ اللَّهَبِ بَعْـدَ قَلِيلٍ إِلَى كَبِدِ السَّمَاء ، حَارَّةً مُضِيئَـة ، فَافْـتَرَشَ الْأَصْغَرَانِ الْأَرْضَ وَنَامَا ، وَجَلَسَ الْأَخُ الْأَكْـبَرُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ النَّار ، وَسَيْفُهُ يَتَدَلَّى إِلَى جَانِبِه ، وَكَانَ بَيْنَ حِينٍ وَحِين ، يَسْتَلْقِى إِلَى الْأَرْض ، وَيُغْمِضُ جَفْنَيْهِ قَلِيلًا مِنْ شِدَّةِ النُّعَاس ، وَلٰـكِنَّهُ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَنْهَضَ وَاقِفاً ، وَيُتِمَّ حِرَاسَتَهُ يَقْظَانَ نَائِماً .

وَبَعْدَ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ مِنَ انْتِشَارِ اللَّيْل ، سَمِعَ هٰذَا الْأَخُ الْأَكْـبَر ، حَفِيفَ أَشْجَارٍ فِى الْغَابَة ، أَعْقَبَهُ نَعِيقُ بُومَة ، فَطَارَ النُّعَاسُ مِنْ عَيْنَيْه ، وَبَقِىَ يَتَرَقَّبُ شَيْئًا غَيْرَ مَأْلُوف ، ثُمَّ تَبِـعَ ذٰلِكَ كُلَّهُ صَوْتُ شَجَرَةٍ تَتَحَطَّم ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْوَرَاء ، فَرَأَى تِنِّينًا بِرُءُوسٍ ثَلَاثَة ، مُقْبِلاً نَحْوَه ، وَالْأَشْجَارُ

تَتَقصَّفُ تَحْتَ زَحفِه ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْأَخِ السَّاهِرِ خَوْفٌ شَدِيد، وَكَادَ يُوقِظُ أَخَوَيْه ، غَيْرَ أَنَّهُ تَذَكَّرَ الاِتِّفَاقَ الْمَعْقُودَ بَيْنَهُمْ ، وَقَالَ فِى نَفْسِه : « لَوْ صِحْتُ بِهِمَا وَأَيْقَظْتُهُمَا ، فَقَدْتُ نَصِيبِى مِنَ الْمَكَاسِبِ ، وَلَوْ سَكَتُّ مِتْنَا نَحْنُ الثَّلَاثَة ، وَلٰكِنْ لَا ، فَلَنْ أُقْهَرَ فِى يُسْرٍ وَسُهُولَة » .

وَعِنْدَمَا بَدَأَ التِّـنِّينُ يَنْفُخُ فِى النَّارِ قَصْدَ إِطْـفَائِهَا ، جَرَّدَ الشَّابُّ سَيْفَه ، وَأَهْوَى بِهِ عَلَى التِّـنِّين ، فَقَطَعَ أَوَّلَ رَأْسٍ لَه ، وَثَنَّى بِضَرْبَةٍ أُخْرَى مِنْ سَيْفِه ، فَقَطَعَ الرَّأْسَ الثَّانِى ، وَعَاجَلَه بِضَرْبَةٍ ثَالِثَة ، فَقَطَعَ الرَّأْسَ الثَّالِث ، ثُمَّ جَرَّ جُثَّةَ التِّـنِّين ، وَأَلْقَاهَا فِى بَعْضِ الْحُفَر ، وَانْتَزَعَ أَلْسِنَةَ الرُّؤُوسِ الثَّلاثَة ، وَخَبَّأَهَا فِى جَيْبِه ، وَرَكَضَ إِلَى النَّارِ التِّى كَادَتْ تَخْمُد ، فَغَذَّاهَا بِالْحَطَبِ فَالْتَهَب ، وَكَانَ اللَّيْلُ يَكَادُ يَنْقَشِـع ، وَالْفَجْرُ يَكَادُ يَطْلُع ، فَصَحَا أَخَوَاه ، وَلَمْ يَسْأَلاَهُ كَيْفَ قَضَى لَيْلَتَه ؟ وَلاَ هُوَ سَأَلَهُمَا هَلْ نَامَا نَوْمًا هَادِئًا مُرِيحًا ؟ . . . ذٰلِكَ كَانَ مِنْ شُرُوطِ الاِتِّفَاقِ بَيْنَهُم .

وَاسْتَأْنَفَ الإِخْوَةُ الثَّلاثَةُ سَيْرَهُمْ فِى الْغَابَة ، وَكَانُوا كُلَّمَا قَطَعُوا شَوْطًا مِنْهَا ، بَدَتْ لَهُمْ غَابَةٌ كَثِيفَةٌ لاَ تَنْتَهِى حَتَّى أَقْبَلَ اللَّيْلُ عَلَيْهِم ، فَصَنَعُوا مَا صَنَعُوهُ فِى اللَّيْلَةِ

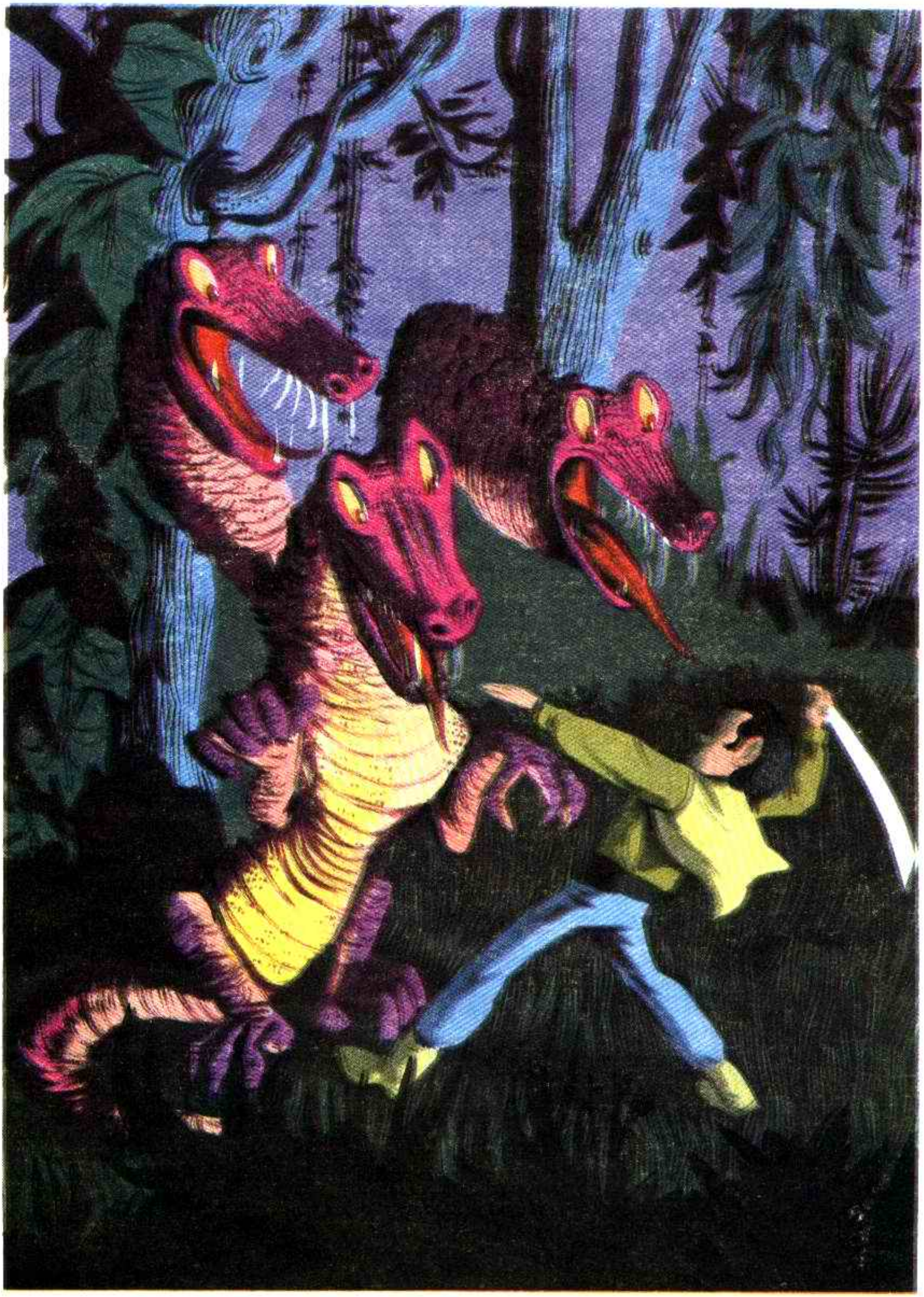

الْمَاضِيَة ، وَجَدَّدُوا العَهْدَ فِيمَا بَيْنَهُم ، وَلَمَّا أَشْعَلُوا النَّار ، تَمَدَّدَ الْأَخَوَانِ الْأَكْبَرُ وَالْأَصْغَرُ عَلَى الْأَرْض ، وقَدْ غَلَبَهُمَا النُّعَاسُ فَنَامَا ، وَبَقِىَ الْأَخُ الْأَوْسَطُ جَالِسًا قَرِيبًا مِنَ النَّار ، وَسَيْفُهُ إِلَى جَانِبِه ، وَكَانَ يَرْقُبُ الْحَوَادِث ، وَيَسْهَرُ عَلَى أَخَوَيْه ، وَكَانَ بَيْنَ حِينٍ وَحِين ، يَسْتَلْقِى إِلَى الْأَرْض ، وَيُغْمِضُ جَفْنَيْهِ قَلِيلاً مِنْ شِدَّةِ النُّعَاس ، وَلٰكِنَّهُ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَنْهَضَ وَاقِفًا ، وَيُتِمَّ حِرَاسَتَهُ يَقْظَانَ نَائِمًا .

وَبَعْدَ دَقَائِقَ مَعْدُودَاتٍ سَمِعَ حَفِيفَ أَشْجَارٍ فِى الْغَابَة ، أَعْقَبَهُ نَعِيقُ بُومَة ، فَطَارَ النُّعَاسُ مِنْ عَيْنَيْه ، وَبَقِىَ يَتَرَقَّبُ شَيْئًا غَيْرَ مَأْلُوف ، ثُمَّ تَبِعَ ذٰلِكَ كُلَّهُ صَوْتُ شَجَرَةٍ تَتَحَطَّمُ ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى الْوَرَاء ، فَرَأَى تِنِّينًا بِرُؤُوسٍ سِتَّةٍ مُقْبِلاً نَحْوَه ، وَالْأَشْجَارُ تَتَقَصَّفُ تَحْتَ زَحْفِه ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْأَخِ السَّاهِرِ خَوْفٌ شَدِيد ، وَكَادَ يُوقِظُ أَخَوَيْه ، غَيْرَ أَنَّهُ تَذَكَّرَ

الاِتِّفَاقَ الْمَعْقُودَ بَيْنَهُم ، وَقَالَ فِى نَفْسِه: « لَوْ صِحْتُ بِهِمَا وَأَيْقَظْتُهُمَا ، فَقَدْتُ نَصِيبِى مِنَ الْمَكاسِب ، وَلَوْ سَكَتُّ مِتْنَا نَحْنُ الثَّلاثَة ، وَلٰكِنْ لاَ ، فَلَنْ أُقْهَرَ فِى يُسْرٍ وَسُهُولَة ! » .

وَعِنْدَمَا بَدَأَ التِّنِّينُ يَنفُخُ فِى النَّارِ قَصْدَ إِطْفَائِها ، جَرَّدَ الشَّابُّ سَيْفَه ، وَأَهْوَى بِهِ عَلَى التِّنِّين ، فَقَطَعَ رَأْسَيْنِ مِنْ رُؤُوسِه ، وَثَنَّى بِضَرْبَةٍ أُخْرَى مِنْ سَيْفِه ، فَقَطَعَ رَأْسَيْنِ آخَرَيْن ، وَعَاجَلَهُ بِضَرْبَةٍ ثَالِثَة ، فَقَطَعَ الرَّأْسَيْنِ الْبَاقِيَيْن ، ثُمَّ جَرَّ جُثَّةَ التِّنِّين وَأَلْقَاهَا فِى بَعْضِ الْحُفَر ، وَانْتَزَعَ أَلْسِنَةَ الرُّؤُوسِ السِّتَّة وَخَبَّأَهَا فِى جَيْبِه ، وَرَكَضَ إِلَى النَّارِ الَّتِى كَادَتْ تَخْمُد ، فَغَزَّاهَا بِالْحَطَبِ فَالْتَهَب ، وَكَانَ اللَّيْلُ يَكَادُ يَنْقَشِع ، وَالْفَجْرُ يَكَادُ يَطْلُع ، فَصَحَا أَخَوَاهُ وَلَمْ يَسْأَلاَهُ كَيْفَ قَضَى لَيْلَتَه ؟ وَلاَ هُوَ سَأَلَهُمَا هَلْ نَامَا نَوْمًا هَادِئًا

مُرِيحًا ؟.. ذٰلِكَ كانَ مِنْ شُرُوطِ الاتِّفَاقِ بَيْنَهُم .

وَمَضَى الإِخْوَةُ الثَّلاثَة ، يَمْشُونَ طَوِيلاً طَوِيلاً جِدًّا ، وَالْغَابَةُ الْمَسْحُورَةُ لاَ نِهَايَةَ لَهَا ، فَفَاجَأَهُمُ اللَّيْلُ فِى غَابَةٍ أَشَدَّ كَثَافَةً مِنْ كُلِّ غَابَةٍ اجْتَازُوهَا ، فَجَدَّدُوا الْعَهْدَ بَيْنَهُمْ وَأَوْقَدُوا النَّار .

فَبَيْنَمَا كانَ اللَّهَبُ يَرْتَفِعُ فِى الْفَضَاء ، اِضطَجَعَ الأَخَوَانِ الْكَبِيرَانِ عَلَى الأَرْضِ فَنَامَا ، وَسَهِرَ فِى الْحِرَاسَةِ الأَخُ الأَصْغَرَ ، وَقَوْسُهُ إِلَى جَانِبِه ، وَكَانَ بَيْنَ حِينٍ وَحِين ، يَسْتَلْقِى إِلَى الأَرْض ، وَيُغْمِضُ جَفْنَيْهِ قَلِيلًا مِنْ شِدَّةِ النُّعَاس ، وَلٰكِنَّهُ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَنْهَضَ وَاقِفًا ، وَيُتِمَّ حِرَاسَتَهُ يَقْظَانَ نَائِمًا .

وَبَعْدَ قَلِيل ، سَمِعَ هٰذَا الأَخُ الأَصْغَرُ حَفِيفَ أَشْجَارٍ فِى الْغَابَة ، أَعْقَبَهُ نَعِيقُ بُومَة ، فَطَارَ النُّعَاسُ مِنْ عَيْنَيْه ،

وَ بَقِىَ يَترَقَّبُ شَيْئًا غَيْرَ مَأْلُوف، ثُمَّ تَبِـعَ ذٰلِكَ كُلَّهُ صَوْت شَجَرَةٍ تَتَحَطَّم، فَالْتَفَتَ إِلَى الْوَرَاء، فَرَأَى تِنِّينًا بِاثْنَىْ عَشَرَ رَأْسًا مُقْبِلًا نَحْوَه ، وَالْأَشْجَارُ تَتَقَصَّفُ تَحْتَ زَحْفِه .فَلَمْ يَنْتَظِرِ الشَّابُّ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْه التِّـنِّين ، بَلْ عَمَدَ فِى الْحَالِ إِلَى قَوْسِه ،وَسَدَّدَ مِنْهَا السِّهَامَ إِلَى رُؤُوسِ التِّـنِّين ، فَتَسَاقَطَتْ سَهْمًا سَهْمًا عَلَيْهَا ، وَقَتَلَتْ صَاحِبَهَا ، ثُمَّ جَرَّ جُثَّةَ التِّـنِّينِ إِلَى بَعْضِ الْحُفَرِ ، وَانْتَزَعَ أَلْسِنَةَ الرُّؤُوسِ الاثْنَىْ عَشَرَ وَخَبَّأَهَا فِى جَيْبِه .

وَلَمَّا عَادَ إِلَى مَكَانِه ، كَانَتِ النَّارُ قَدْ خَمَدَت، وَلَمْ تَبْقَ فِيهَا جَمْرَةٌ وَاحِدَةٌ مُتَّقِدَة ، فَفَكَّرَ فِى خَسَارَتِهِ لَوِ اسْتَيْقَظَ أَخَوَاه ، وَرَأَيَا النَّارَ رَمَادًا فَوْقَ رَمَاد ، فَعَزَمَ أَنْ يُوقِدَ النَّارَ بِأَيَّةِ وَسِيلَةٍ كَانَت.

فَصَعِدَ إِلَى قِـمَّةِ شَجَرَةٍ عَالِيَة، وَأَدَارَ بَصَرَهُ فِى الْأُفُقِ

مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِه ، لَعَلَّهُ يَلْمَح ،
وَلَوْ عَنْ بُعْد ، بَصِيصَ نُورٍ
أَوْ لَهِيبَ نَار ، فِى تِلْكَ الْغَابَةِ
الْوَاسِعَةِ الْمَسْحُورَة ، فَلَمْ
يَلْمَحْ شَيْئًا لِأَوَّلِ وَهْلَة ،
فَأَعَادَ النَّظَرَ ثَانِيَةً فِى عِنَايَةٍ
وَتَدْقِيق ، فَلَمَحَ عَنْ يَمِينِهِ نُورًا
ضَئِيلًا بَعِيدًا جِدًّا . فَارْتَاحَ
بَعْدَ قَلَق ، وَقَالَ فِى نَفْسِه :
« إِنَّ نَصِيبِى مِمَّا سَوْفَ نَكْسِبُهُ
مِنْ هٰذِهِ الرِّحْلَة ، تُمْسِكُ بِهِ
شَعْرَة ، فَعَلَىَّ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى ذٰلِكَ
النُّورِ وَأَجْلُبَ مِنْهُ النَّار » .

فَنَزَلَ مِنَ الشَّجَرَة، وَمَشَى فِى اتّجَاهِ النُّورِ الْخَافِت ، فَقَابَلَ فِى طرِيقِهِ اللَّيْل، فَسَأَلَهُ قَائِلاً :

— « مَنْ أَنْت ؟ »

فَقَالَ اللَّيْل :

— « أَنَا اللَّيْل.. »

فَقَالَ الشَّابّ :

— « كَمْ مِنَ الْوَقْتِ سَوْفَ تَسْتَمِرُّ بَعْدَ الآن ؟ »

فَقَالَ اللَّيْل :

— « لَنْ أَسْتَمِرَّ طَوِيلا، فَالْفَجْرُ سَوْفَ يَطْلُعُ قَرِيبًا » .

فَصَاحَ الشَّابّ :

— « يَا للدَّاهِيَة ! تَعَالَ مَعِى أَيُّهَا اللَّيْل ! فَأَنَا فِى حَاجَةٍ إِلَيْك » .

فَغَافَلَهُ اللَّيْل ، وَأَخَذَ يَجْرِى ، فَتَحَيَّرَ الْفَتَى ، وَكَانَ يَوَدُّ

أَنْ يَسْتَمِرَّ اللَّيْلُ نَاشِرًا سَوَادَهُ الْحَالِك ، حَتَّى يَتَمَكَّن ، مِنْ أَنْ يَقْتَبِسَ النَّار ، مِنْ ذٰلِكَ الْمَكانِ الْمُضِىء ، وَيَذْهَبَ بِهَا إِلَى حَيْثُ يَنَامُ أَخَوَاه ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَا ، فَهَدَاهُ تَفْكِيرُهُ إِلَى أَنْ يَحُولَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَجَرَيَانِه ، فَتَنَاوَلَ قوْسَه ، وَرَمَى اللَّيْلَ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ فِى فَخِذِه ، فَعَادَتْ خُطُوَاتُهُ بَطِيئَةً كَمَنْ يَجُرُّ نَفْسَهُ جَرًّا .

وَفجْأَة ، بَدَأَ اللَّيْلُ يَتَنَهَّدُ وَيَقُول : « وَا أَسَفَاه ! وَا أَسَفَاه ! وَا أَسَفَاه ! » فَقَالَ لَهُ الشَّابُّ مُتَسَائِلاً :

— « مَاذَا بِك ؟ »

فَقَالَ اللَّيْل :

— « إِنَّ الْفَجْرَ سَيَطْلُعُ بَعْدَ قَلِيلٍ وَسَيَطْرُدُنِى » .

وَنَظَرَ الْفَتَى إِلَى السَّمَاء ، مِنْ خِلَالِ الْأَشْجَار ، فَرَأَى الْخُيُوطَ الْبِيضَ قَدْ بَدَأَتْ تُفَضِّضُهَا ، فَأَمْسَكَ بِقَوْسِه ، وَرَمَى

الْفَجْرَ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ كَذٰلِكَ فِى فَخِذِه ، فَتَوَقَّفَ الْفَجْرُ فِى الْحَال ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّابُّ وَقَالَ لَه :

— «اِبْقَ مَكَانَكَ فَإِصَابَتُكَ لَنْ تَسْمَحَ لَكَ بِالسَّيْر، فَأَنْتَ وَاللَّيْلُ الْآنَ فِى خِدْمَتِي» .

وَمَا إِنْ قَالَ هٰذِهِ الْكَلِمات ، حَتَّى رَبَطَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَة، وَخَصَّ كُلاًّ مِنْهُما بِجَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِها؛ وَغَرَضُهُ أَنْ يَبْقَيَا مَرْبُوطَيْن ، إِلَى أَنْ يُتِمَّ مُهِمَّتَه ، ثُمَّ تَابَعَ سَيْرَهُ فِى ظَلَامِ اللَّيْل، وَوَصَلَ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى غَايَتِه، فَشَاهَدَ نَارًا يَسْتَعِرُ فِيها الْجَمْرْ ، وَرَأَى مِنْ حَوْلِها اثْنَىْ عَشَرَ عِمْلاَقًا ، كانُوا قَدْ فَرَغُوا مِنْ عَشَائِهِم ، وَكانَ الْعِمْلَاقُ الثَّانِى عَشَرَ مِنْهُم ، يَكَادُ يَنْتَهِى مِنْ كَأْسِ شَرَابٍ يَبْتَلِعُهُ ابْتِلاَعًا .

فَضَحِكَ الْأَخُ الْأَصْغَرُ فِى سِرِّه ، وَشَدَّ قَوْسَه، وَسَدَّدَ

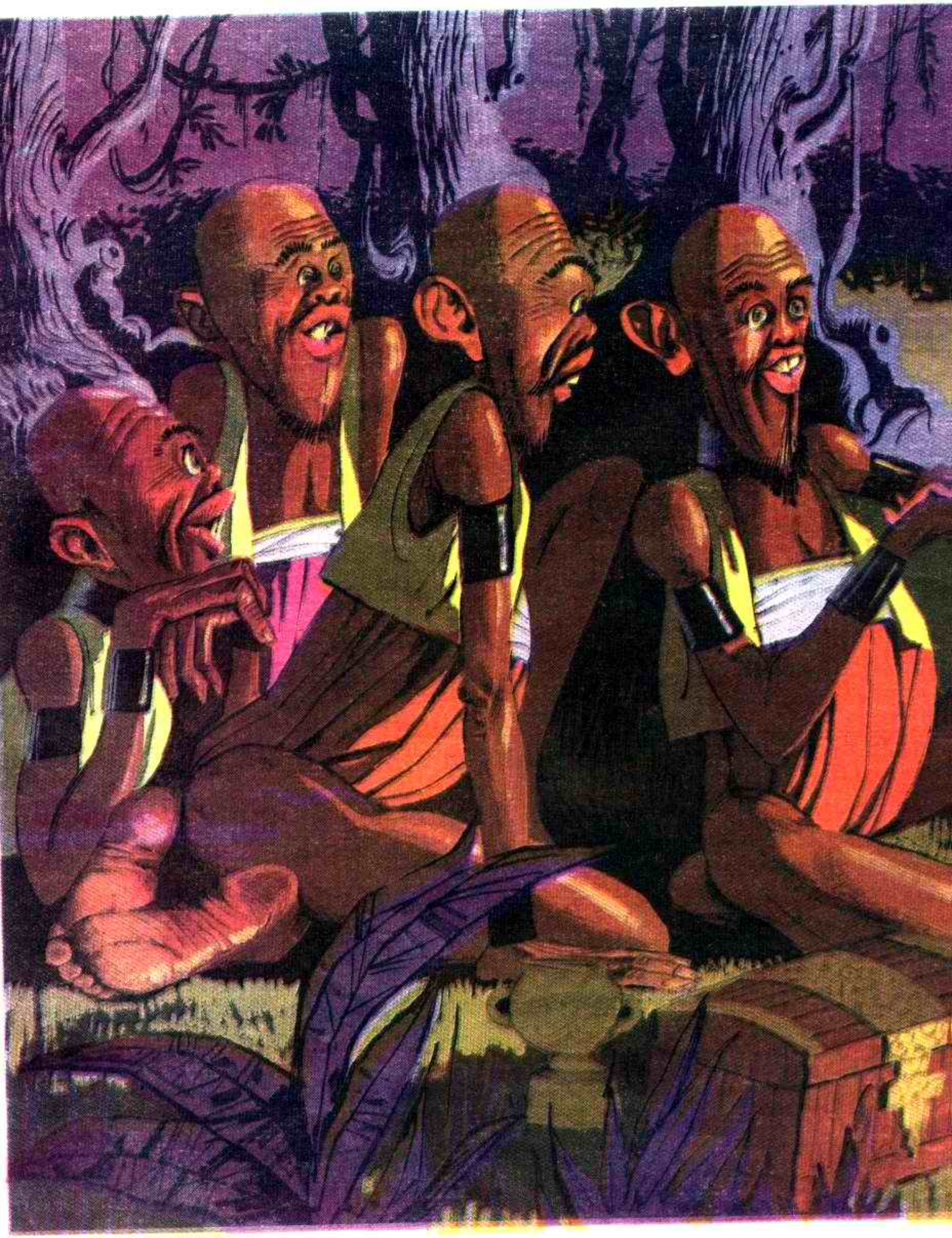

السَّهْمَ إِلَى كَأْسِ الْعِملاق، وَكانَتْ مِنَ الْفِضَّة ، فَانْتَزَعَها مِنْ يَدَيْه ، وَخَدَشَ لَهُ أَنْفَهُ خَدْشًا صَغِيرًا.

فَنَهَضَ الْعَمالِقَةُ عَلَى الْأَثَرِ مَدْهُوشِين ، وَتَساءَلُوا مَنْ يَكُونُ هٰذَا الرَّامِى ؟ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ سِوَاهُم يَسْكُنُ تِلْكَ الْغَابَة ، فَفَكَّرُوا ، وَهَمُّوا بِالِانْطِلاَق ، وَرَاءَ ذٰلِكَ الْمَجْهُول ، لِيُمْسِكُوا بِهِ وَيَعْرِفُوه ، وَلٰكِنْ أَغْنَاهُمُ الْأَخُ الْأَصْغَرُ عَنْ مُهِمَّتِهِم ، حِينَما رَأَوْهُ يَقْتَرِبُ مِنْهُم ، وَيُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ نَفْسَهُ قَائِلاً :

— « إِذَا شِئْتُمْ أَنْ تَرَوْنِى ، يَا قَوْمُ ! فَهَا أَنَا ذَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ .. »

فَقَالُوا لَه :

— « أَأَنْتَ الرَّامِى الَّذِى سَدَّدَ سَهْمَهُ إِلَى هٰذِهِ الْكَأْس ، فَأَسْقَطَهَا مِنْ كَفِّ شَارِبِها ؟ » ..

فَقَالَ الْأَخُ الْأَصْغَر :

«نعَمْ أَنَا هُوَ ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ سِوَايَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ ذٰلك ، وهذه هِيَ قَوْسِي ، فَانْظُرُوا إِلَيْهَا وَتَمَعَّنُوا فِيها» .

فقالُوا له :

«لوُ صحَّ أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي رَمَيْتَ السَّهْم، لَغَفَرْنَا لَكَ جرأتَك ، وعَفَوْنَا عَنْك ، فَأَنْتَ مَنْ نَنْشُدُهُ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيل »

ثُمَّ جَعَلُوهُ يُقْسِمُ لَهُمْ أَنَّهُ لَنْ يُفَارِقَهُم ، وَكَشَفُوا لَهُ السِّرَّ الَّذِي وَرَاءَ هٰذِهِ الرَّغْبَة ، ذٰلِكَ أَنَّ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهُم قَصْرًا مَسْحُورًا ، مَمْلُوءًا بِأَكْوَامِ الذَّهَب ، وَأَنَّهُمْ يَشْتَرُونَ ذٰلِكَ الكنْزَ بِأَرْوَاحِهِمْ ، لَوِ اسْتَطَاعُوا إِلَيْهِ سَبِيلاً ، فَفِي الْقَصْرِ كَلْبٌ أَسْوَد ، حَادُّ السَّمْع ، يَتَنَقَّلُ بَيْنَ أَنْحَاء الْحَدِيقَةِ حِيناً ، وَيَعْتَلِي الْأَسْوَارَ حِيناً آخَر ، وَيُنْصِتُ لِكُلِّ حَرَكَةٍ وَلَوْ بَعِيدَة ؛

فَإِذَا سَمِعَ مَا يُرِيبُه ، أَخَذَ ينْبحُ نُباحًا شدِيدا مُتوَاصِلاً ، يَصْحُوا لَهُ سُكَّانُ الْقَصْر ، ولوْ كانُوا عارِقِينَ فِى النَّوْم ... وَالأَدْهَى منْ هٰذَا أَنَّ هؤُلاَء الْعمالِقَة ، كان فِى استطاعتهمْ

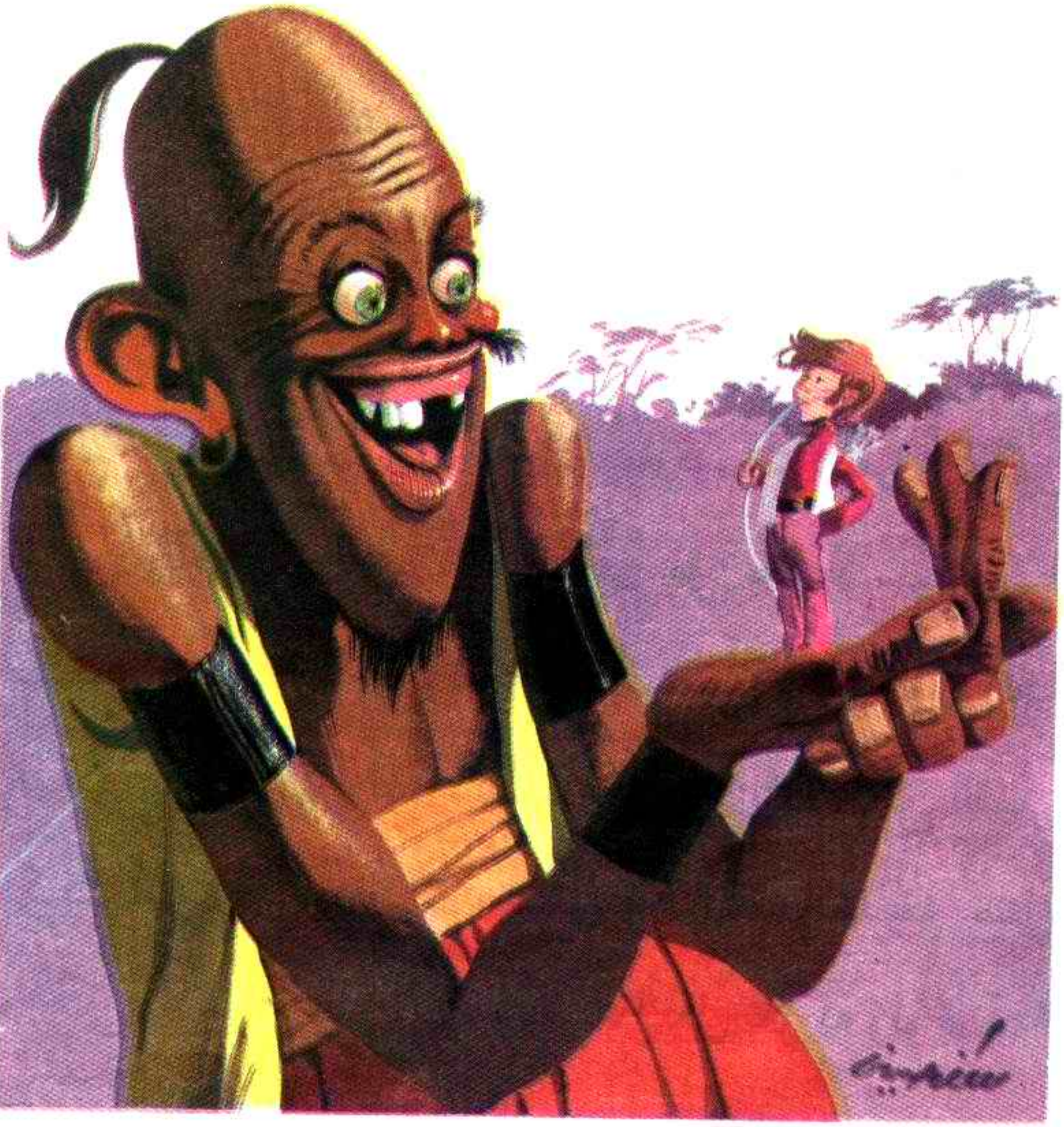

أَنْ يَتَغَلَّبُوا عَلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الْقَصْر ، وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ لِهٰذَا الْقَصْرِ الْمَسْحُورِ بَابٌ وَلاَ نَافِذَة ، يَدْخُلُونَ مِنْهُمَا إِلَيْه ، إِلاَّ فُتْحَةً صَغِيرةً فِى وَسَطِ الْحَائِط ، تُرْمَى مِنْهَا الْأَوْسَاخُ وَالْقَاذُورَات .

وَمَا كَانَ يَقْدِرُ أَىُّ عِمْلَاقٍ مِنْهُم ، أَنْ يَنْفُذَ مِنْهَا إِلَى الْقَصْر، إِلاَّ بِصُعُوبَة ، فَضْلاً عَنْ أَنَّ نُبَاحَ الْكَلْبِ الصَّغِير ، كَانَ كَفِيلاً أَنْ يُؤَلِّبَ عَلَيْهِ سُكَّانَ الْقَصْرِ جَمِيعًا . . .

فَرَتَّبُوا أَمْرَهُمْ وَقَالُوا لِلْأَخِ الْأَصْغَر :

— « تَرْمِى أَوَّلاً الْكَلْبَ الْأَسْوَدَ الصَّغِير ، بِسَهْمٍ مِنْ قَوْسِكَ فَتَقْتُلُه ، ثُمَّ نَرْفَعُكَ إِلَى الْفُتْحَة ، فَتَنْزَلِقُ مِنْهَا إِلَى الدَّاخِل . . .

وَسَوْفَ يَكُونُ جَمِيعُ أَهْلِ الْقَصْرِ نَائِمِين ، فَلَنْ يُوقِظَهُمُ الْكَلْبُ الصَّغِيرُ بِنُبَاحِه ، بَعْدَ أَنْ يُسْكِتَهُ سَهْمُكَ إِلَى

الْأَبَد . . . فَتَدْخُلُ الْقَصْرَ إِذَنْ ، وَتَزُورُ غُرَفَهُ وَخَفَايَاه ، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَيْنَا وَتَرْوِى لَنَا مَا شَاهَدْت ، وَتُعِينُنَا عَلَى أَنْ نَدْخُلَ الْقَصْرَ وَاحِدًا بَعْد وَاحِد ، مِنَ الْفُتْحَةِ الصَّغِيرَة » .

وَتَمَّ الاتِّفَاقُ بَيْنَهُم ، عَلَى مَا رَتَّبُوا وَقَرَّرُوا ، فَبَدَأَ الْأَخُ الْأَصْغَر ، وَهُوَ صَيَّادٌ مَاهِر ، بِأَنْ رَمَى الْكَلْبَ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ فِى شِدْقِه* ، عِنْدَمَا فَتَحَهُ لِلنُّبَاح ، ثُمَّ تَقَدَّمَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الْعَمَالِقَة ، فَرَفَعَ الْأَخَ الْأَصْغَرَ إِلَى الْفُتْحَة ، كَمَا لَوْ كَانَ يَرْفَعُ جَوْزَةً صَغِيرة ، فَانْزَلَقَ مِنْهَا ، وَهُوَ نَحِيلٌ جِدًّا ، فِى سُهُولَةٍ كَبِيرَةٍ إِلَى الدَّاخِل .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمُقَام ، زَارَ كُلَّ غُرَفِ الْقَصْرِ وَزَوَايَاه فَرَأَى – كَمَا قِيلَ لَه – أَكْوَامًا مِنَ الذَّهَب ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَمَسَّهَا ، وَكَانَ هَدَفُهُ الْأَكْبَر ، أَنْ يَعْرِفَ هَلْ فِى

---

* الشدق : فم الحيوان .

الْقَصْرِ أُنَاسٌ أَحْيَاءُ يُرْزَقُون ؟ حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْ شَرِّ الْعَمَالِقَة ، فَاسْتَمَرَّ يَطُوفُ طَوِيلًا بِأَرْجَاء الْقَصْر ، فَلَمْ يَقَعْ بَصَرُهُ عَلَى أَحَد ، فَوَصَلَ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى حُجْرَةٍ مِنَ الْحُجُرَات ، كَانَتْ تَنَامُ فِيهَا سِتٌّ شَغَّالَات ، فَتَرَكَهَا فِي هُدُوء ، وَدَخَلَ حُجْرَةً أُخْرَى كَانَتْ تَنَامُ فِيهَا سِتٌّ وَصِيفَات ، فَعَبَرَ مِنْهَا إِلَى حُجْرَةٍ ثَالِثَة ، كَانَتْ أَنِيقَةً عَظِيمَة ، فَرَأَى فِي وَسَطِهَا مِنْضَدَةً مِنْ ذَهَب ؛ عَلَيْهَا كَأْسٌ مَمْلُوءَةٌ بِشَرَابِ الْوَرْد ، وَبِإِزَاء الْمِنْضَدَةِ سَرِيرٌ مِنْ ذَهَب ، نَامَتْ فِيهِ فَتَاةٌ جَمِيلَة ، وَفَوْقَ السَّرِير ، سَيْفٌ مِنْ ذَهَب ، مُعَلَّقٌ عَلَى الْحَائِط .

فَلَفَتَ السَّيْفُ نَظَرَهُ أَوَّلاً ، فَأَرَادَ أَنْ يُنْزِلَهُ مِنْ مَكَانِه ، وَيَسْتَوْلِيَ عَلَيْه ، غَيْرَ أَنَّه لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحَرِّكَه .

وَحَاوَلَ مَرَّة ثَانِيَة ، وَلٰكِنْ ذَهَبَ جَهْدُهُ عَبَثًا .

وَلَمَحَ الْكَأْسَ الْمَمْلُوءَة بِشَرَابِ الْوَرْدِ فَقَال :

— « مَاذَا لَوْ شَرِبْتُهُ وَاسْتَعَدْتُ قُوَّتِى وَنَشَاطِى ؟ »

فَأَمْسَكَ بِالْكَأْس ، وَأَفْرَغَ مَا فِيها فِى جَوْفِه ، فَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّ قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ قَدْ تَجَمَّعَتْ فِيهِ ، فَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْحَائِط ، فَرَفَعَ مِنْهُ السَّيْف ، كَأَنَّهُ يَرْفَعُ رِيشَة ، وَتَقَلَّدَه ، فَسُرَّ سُرُورًا لاَ يُوصَفُ ، وَقَالَ فِى نَفْسِه :

— « حَسَنٌ جِدًّا ، والْآنَ عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ الْعَمَل » .

فَعَادَ فِى هُدُوء وحَذَر ، إِلَى الْفُتْحَةِ الَّتِى يَنْتَظِرُهُ عِنْدَهَا الْعَمَالِقَة ، فَقَالَ لَهُمْ :

— « كُلُّ شَىْء عَلَى مَا وَصَفْتُمْ ، فَالذَّهَبُ أَكْوَام ، وَالْقَوْمُ نِيَام ، فَتَعَالَوْا وخُذُوا مِنْهُ مَا شِئْتُم » .

فَدَخَلَ الْعَمَالِقَةُ الْقَصْر ، مِنَ الْفُتْحَةِ الصَّغِيرَة ، ولٰكِنْ مَا كَادَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَصِلُ إِلَى الْجَانِبِ الثَّانِى مِنَ الْفُتْحَة ،

حَتَّى كانَ الشَّابُّ قَدْ أَهْوَى عَلَيْهِ بِالسَّيْف ، وضَرَبَ عُنُقَهُ فِي سُهُولَةٍ مَا بَعْدَهَا سُهُولَة .

وَمَا هُوَ أَنْ يَسْقُطَ رَأْسُ آخِرِ عِمْلَاقٍ مِنْهُم، حَتَّى رَجَعَتِ الْحَيَاةُ تَدِبُّ فِي الْقَصْر ، كَمَا لَوْ صَحَا مِنَ الرُّقَادِ أَلْفُ رَجُلٍ مَعًا ...

وَعَلَا الضَّجِيجُ والصُّرَاخ ، وارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ تَتَسَاءَلُ قَائِلَة :

— « مَنْ جَاءَ إِلَى هُنَا ؟ ومَنْ شَرِبَ شَرَابَ الْوَرْد ؟ ومَنْ أَخَذَ السَّيْف ؟ »

وَكانَ الْوَقْتُ أَمامَ فَتَانَا ، أَضْيَقَ مِنْ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بالْهَرَب ، لَوْ شَاءَ الْهَرَب .

وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْنَا كَذٰلِك ، لِمَاذَا كانَ الشَّابُّ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِه ، فَشُرُوطُ الاتِّفَاقِ الْمَعْقُودِ بَيْنَهُ وَبيْنَ أَخَوَيْه ،

كانَتْ تَدْعُوهُ إِلَى التَّعْجِيلِ فِى الْعَوْدَة ، فَهَرَبَ مِنَ الْفُتْحَة ، وَجَرَى إِلَى حَيْثُ كانَ الْعَمالِقَةُ قَدْ أَوْقَدُوا النَّار ، فَاخْتَطَفَ مِنْهَا قِطْعَةَ حَطَب ، كانَتْ تَشْتَعِلُ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهَا ، وسَارَعَ إِلَى مُتَابَعَةِ طَرِيقِه .

بَلَغَ فِى سُرَاه* ، إِلَى الْمَكانِ الَّذِى رَبَطَ فِيهِ اللَّيْلَ والْفَجْر ، فَأَخَذَ الاِثْنانِ يَسُبَّانِه ، ويُسْمِعَانِه قَارِصَ الْكَلَام ، ويَصِيحَانِ فِى وَجْهِهِ قَائِلَيْن :

— « أَيْنَ كُنْتَ طُولَ هٰذِهِ الْمُدَّة ؟ وأَيْنَ كُنْتَ مُخْتَبِئًا ؟ أَلاَ تَعْلَمُ أَنَّ نِظَامَ الْحَيَاةِ سَيَضطَرِبُ كُلَّ الاضطِرَاب ، إِذَا بَقِيَا عَلَى هٰذِهِ الْحَال ؟ »

فَقَالَ لَهُمَا :

— « صَبْرًا يَا سَجِينَىّ . ولا تُصِمَّا أُذُنَىّ بِمِثْلِ هٰذَا الْكَلام ،

---

* السرى : السير فى الليل .

فَلَسَوْفَ أُعِيدُ كُلَّ شَىْءٍ إِلَى نِصَابِه » .

فَفَكَّ أَرْبِطَتَهُمَا ، وَابْتَعَدَ اللَّيْلُ فِى الاِتِّجَاهِ الْمَرْسُومِ لَهُ ، وَسَلَكَ الْفَجْرُ الاِتِّجَاهَ الْمُضَادَّ ، فَصَاحَ فِيهِمَا وَقَالَ مُهَدِّدًا :

— « اِذْهَبَا مِنْ هُنَا وَلاَ تَلُوحَا مَرَّةً أُخْرَى لِعَيْنَىَّ » .

وَتَبِعَ اللَّيْلَ الَّذِى كَانَ يَجْرِى بِأَقْصَى سُرْعَةٍ ، فَبَلَغَ النَّارَ الْخَامِدَةَ عِنْدَ أَخَوَيْه ، وَكَانَ الْفَجْرُ قَدِ اتَّسَعَتْ رُقْعَتُه ، وَأَخَوَاهُ مَا زَالاَ يَغِطَّانِ فِى النَّوْمِ ، فَأَشْعَلَ النَّارَ الَّتِى خَمَدَتْ ، فَارْتَفَعَتْ أَلْسِنَةُ اللَّهَبِ فِى الْفَضَاء ، وَاسْتَيْقَظَ بَعْدَ

قَلِيلٍ أَخَوَاهُ وهُمَا يَقُولاَن :

— «لَقَدْ كانَتْ لَيْلَتُنَا ، أَيُّها الشَّقِيقُ الْعَزِيز ! طَوِيلَةً طَوِيلَةً عَلَى غَيْرِ الْعَادَة » .

فَقَالَ لَهُمَا :

— « كانَتْ أَطْوَلَ لِي . . . »

وَلَمْ يَزِدْ حَرْفًا عَلَى مَا قَال، حَتَّى لاَ يُخِلَّ بِالْعَقْدِ الْمُبْرَم بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخَوَيْه ، غَيْرَ أَنَّ هٰذَيْنِ الأَخَوَيْن ، كانَتْ تُحَدِّثُهُما النَّفْسُ عَنْ أَمْرٍ خَفِيٍّ جَرَى فِي اللَّيْل ، وَوَثِقَا مِنْ ذٰلِكَ عَلَى الأَخَصّ ، عِنْـدَمَا رَأَيَا السَّيْفَ يَتَدَلَّى إِلَى جَانِبِ شَقِيقِهِمَا .

ثُمَّ اسْتَطَاعَ الأَشِقَّاءُ الثَّلاثَةُ الْخُرُوجَ مِنَ الْغَابَة ، وَاتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا طَرِيقَ الْعَوْدَة ، مُبْتَعِدِينَ عَنْ كُلِّ مُغَامَرَة .

فَلاَحَظَ الْأَخُ الْأَصْغَر ، أَنَّ أَخَوَيْهِ يُسْرِعَانِ فِي الْخُطَى ، وَيَوَدَّانِ لَوْ بَلَغَا الْمَنْزِلَ فِي أَقْرَبِ فُرْصَة ، وَكَانَ غَرَضُ كُلٍّ مِنْهُمَا ، أَنْ يُقَدِّمَ الدَّلِيلَ عَلَى مَهَارَتِه ، بِمَا يَحْوِيهِ جَيْبُهُ مِنْ أَلْسِنَةِ التِّنِّينِ الَّذِي قَتَلَه ، فَسَكَتَ الْأَخُ الْأَصْغَرُ وَلَمْ يَتَكَلَّم . . .

وَحَدِّثْ عَنْ فَرْحَتِهِمْ وَلاَ حَرَجَ ، عِنْدَمَا وَصَلُوا فِي سَيْرِهِمْ إِلَى الْفُنْدُقِ الَّذِي دَخَلُوهُ فِي بَدْءِ رِحْلَتِهِمْ ، فَقَالَ الْأَخَوَان الْأَكْبَرَان :

— « هَيَّا نَدْخُلُهُ هٰذِهِ الْمَرَّة أَيْضًا » .

فَقَالَ الْأَخُ الْأَصْغَر :

— « وَلِمَ لا ، فَهُوَ فُنْدُقٌ يُرَحِّبُ بِزَائِرِيهِ أَجْمَلَ تَرْحِيب ، وَيُقَدِّمُ لَهُمُ الطَّعَامَ مَجَّانًا ، نُزُولا عِنْدَ رَغْبَةِ جَلاَلَةِ الْمَلِك » .

أَكَلَ الْإِخْوَةُ الثَّلاثَةُ هَنِيئًا، وَشَرِبُوا مَرِيئًا، وَاسْتَرَاحُوا مِنْ تَعَبِ السَّفَرَ ، وَهَمَّ كُلٌّ مِنْهُمْ أَنْ يَبْدَأَ الْحَدِيث ، بَعْدَ أَنْ أَدَارَهُ فِى ذِهْنِهِ مِرَارًا وَتِكْرَارًا ، فَتَكَلَّمَ أَكْبَرُهُمْ وَقَال :

— « الْوَاقِعُ أَنَّنِي فِى هٰذِهِ الرِّحْلَة ، لَمْ أُضَيِّعْ وَقْتِي سُدًى، فَلَمَّا كُنْتُ مُتَوَلِّيًا الْحِرَاسَة ، فِى اللَّيْلَةِ الأُولَى مِنْ وُصُولِنَا إِلَى تِلْكَ الْغَابَةِ الْمَسْحُورَة ، فَاجَأَنِى تِنِّينٌ بِثَلاثَةِ رُؤُوس، فَمَاذَا تَظُنُّونَ أَنِّى فَعَلْت ؟ لَمْ أَخْرُجْ عَنْ صَمْتِي ، تَنْفِيذًا لِلاتِّفَاقِ الَّذِى كَانَ بَيْنَنَا ، وَإِنَّمَا جَرَّدْتُ سَيْفِى، وَضَرَبْتُ التِّنِّينَ ضَرْبَةً أَطَاحَتْ بِرُؤُوسِهِ الثَّلاثَة ، وَهَا هِىَ ذِى أَلْسِنَتُهُ الثَّلاثَة » .

وَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ الأَلْسِنَةَ الثَّلاثَة ، وَوَضَعَهَا عَلَى الْمَائِدَة .

فَقَالَ الثَّانِى :

— « أَثلاَثَةُ أَلْسِنَةٍ فَقَط ؟ أَنَا عِنْدِى سِتَّةُ أَلْسِنَة ، فالتِّنِّينُ الَّذِى هَاجَمَنِي ، كانَ بِسِتَّةِ رُؤُوس » .

وَأَخْرَجَ الْأَلْسِنَةَ السِّتَّة ، ووضَعَهَا عَلَى الْمَائِدَة .

فَقَالَ الْأَخُ الْأَصْغَر :

— « غَفَرَ اللّهُ لَكُمَا ، لَقَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى أَلاَّ نَتَكَلَّمْ ، فَلْيَكُنْ عَهْدُنَا إِذَنْ مُلْغًى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ ، واسْمَعَا مَا سَأَقُصُّهُ عَلَيْكُمَا . . . اُنْظُرَا أَوَّلاً إِلَى هٰذِهِ الْأَلْسِنَةِ الاِثْنَىْ عَشَر . وَأَخْرَجَهَا مِنْ جَيْبِه ، ووضَعَهَا عَلَى الْمَائِدَة ، فَالتِّنِّينُ الَّذِى هَاجَمَنِي ، كانَ بِاثْنَىْ عَشَر رَأْسًا ، ثُمَّ انْظُرَا إِلَى هٰذَا السَّيْفِ الثَّمِين » .

وجَرَّدَ السَّيْفَ مِنْ غِمْدِه ، ولَوَّحَ بِهِ فِى الْفَضَاء .

فَسَأَلَهُ أَخَوَاه :

— « كَيْفَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْصُلَ عَلَى هٰذَا السَّيْف ؟ »

فَقَالَ الْأَخُ الْأَصْغَر :

— « لَقَدْ حَدَثَ لِي ، مَا حَدَثَ لَكُمَا مِنْ مُهَاجَمَةِ التِّنِّين لِكُلٍّ مِنَّا . . . أَمَّا هٰذَا السَّيْف ، فَلَهُ قِصَّةٌ طَوِيلَة » .

ثُمَّ أَخَذَ يَقُصُّ عَلَيْهِمَا ، حَوَادِثَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي بَدَتْ لَهُمَا طَوِيلَة ، كَمَا بَدَتْ لَهُ كَذٰلك .

فَلَمْ يَكَدْ يُتِمُّ قِصَّتَه ، حَتَّى وَقَفَتْ عِدَّةُ مَرْكَبَاتٍ مَلَكِيَّةٍ مُطَعَّمَةٍ بِالذَّهَب ، عِنْدَ بَابِ الْفُنْدُق ، وَكَانَ يَسْتَقِلُّ الْأُولَى الْمَلِكُ وَابْنَتُه ، وَتَسْتَقِلُّ الْحَاشِيَةُ بَقِيَّةَ الْمَرْكَبَات ، فَتَسَاءَلَ الشُّبَّانُ الثَّلَاثَةُ قَائِلِينْ ، وَهُمْ يَتَطَلَّعُونَ إِلَى مُدِيرِ الْفُنْدُق :

— « مَاذَا جَرَى ؟ »

فَلَزِمَ مُدِيرُ الْفُنْدُقِ الصَّمْت وَلَمْ يُجِب ، وَكَانَ قَدْ

صَدَرَتْ إِلَيْهِ الْأَوَامِرِ ، بِأَنْ يُبَلِّغَ الْمَلِكَ حَالَمَا يَصِلُ إِلَى الْفُنْدُق ، مُسَافِرٌ يَتَقَلَّدُ سَيْفًا مِنْ ذَهَب ، فَلَمَّا رَأَى الْإِخْوَةَ الثَّلَاثَةَ يَدْخُلُونَ الْفُنْدُق ، أَذْعَنَ لِلْأَمْرِ ، وأَرْسَلَ إِلَى الْقَصْرِ الْمَلَكِيّ ، رَسُولاً يُخْبِرُهُ بِوُصُولِ الْمُسَافِرِ الْمُنْتَظَر .

وَرَمَى الْأَخُ الْأَصْغَرُ بِنَظْرَةٍ سرِيعَةٍ إِلَى الْأَمِيرَة ، فَعَرَفَ فِيهَا الْفَتَاةَ الَّتِي كانَتْ نَائِمَةً تَحْتَ السَّيْف ، فَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَة ، وعَجَزَ عَنْ تَفْسِيرِ مَا تُسَائِلُهُ بِهِ نَفْسُه ، وتَقُولُ لَه :

— « كَيْفَ جَاءَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ إِلَى هُنَا فِي صُحْبَةِ الْمَلِك ؟ »

دَخَلَ الْمَلِكُ الْفُنْدُق ، واتَّجَهَ إِلَى الْأَخِ الْأَصْغَرِ ، وسَأَلَهُ فِي لَهْجَةٍ حَازِمَةٍ صَادِقَة :

— « هَلْ أَنْتَ الْفَتَى الَّذِي لَوَّحَ مُنْذُ قَلِيلٍ بِهٰذَا السَّيْفِ

فِى الْهَوَاء ؟ . . . أَصْدِقْـنِى الْقَوْل ، فَقَدْ رَأَيْتُهُ يَلْمَعُ فِى الْفَضَاء وَأَنَا فِى الْقَصْر » .

فَقَال الْفَتَى بِشَجَاعَةٍ وصِدْق :

— « نَعَمْ أَنَا هُو يَا صَاحِبَ الْجَلالَة ! وَهَا هُوَ ذَا السَّيْف » .

فَقَال الْمَلِك :

— « وَلٰـكِنْ كَيْفَ اسْتَطَعْتَ الْحُصُولَ عَلَى هٰذَا السَّيْف ؟ »

فَقَال الأَخُ الأَصْغَر :

— « بِالطَّرِيقَةِ الَّتِى سَأَرْوِيهَا لَكُمْ يَا صَاحِبَ الْجَلالَة » .

وَسَرَدَ الشَّابُّ الصَّغِيرُ قِصَّتَهُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِك :

—« إِنَّ كَلامَكَ، يُطَابِقُ تَمَامَ الْمُطَابَقَةِ مَاحَدَث،وَلٰـكِنَّنِى أُرِيدُ أَنْ أَتِقَ مِنْ أَنَّكَ بَطَلُ هٰذِهِ الْقِصَّة ، وَأَنَّكَ لَمْ تَغْتَصِبْ هٰذَا السَّيْفَ مِنْ صَاحِبِهِ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ شَرِيفَة ...

وَلٰـكِنْ سَنَرَى ذٰلِكَ فِى الْحَال ... »

وَأَطْرَقَ الْمَلِكُ قَلِيلًا وَهُوَ يُفَـكِّرُ . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَال :

— «إِنَّ الَّذِى تَمَلَّكَ هٰذَا السَّيْف ، وَدَخَلَ الْقَصْر ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْهَرِ رُمَاةِ السِّهَام ، فَقَدْ أَصَابَ الْكَلْبَ لَيْلاً فِى شِدْقِه ، فَتَعَالَ بَرْهِنْ عَلَى أَقْوَالِك » .

فَقَالَ الْفَتَى فِى نَفْسِه :

— «لَوْ سَأَلَنِى الْمَلِكُ الْبُرْهَانَ عَلَى حُسْنِ رِمَايَتِى ، لَسَهُلَ عَلَىَّ الْأَمْر ، وَلٰـكِنْ لَوْ سَأَلَنِى الْبُرْهَانَ عَلَى صِدْقِ رِوَايَتِى ، فِمِنْ أَيْنَ أَجِىءُ بِالدَّلِيلِ الْقَاطِع ؟ »

فَقَالَ لَهُ الْمَلِك :

— «لَوْ نَجَحْتَ أَنْ تُسْقِطَ الْكُرَةَ الذَّهَبِيَّة ، مِنْ قِمَّةِ بُرْجِ قَصْرِى ، بِسَهْمٍ وَاحِدٍ مِنْ قَوْسِك ، كُنْتَ أَنْتَ الرَّجُلَ الَّذِى

نَبْحَثُ عَنْه » .

فَتَبَسَّمَ الْأَخُ الْأَصْغَرَ ، وَزَالَ اضطِرَابُهُ وَقَال:

— « سَمْعًا وَطَاعَةً يَا مَوْلاَى » .

وَخَرَجَ الْقَوْمُ مِنَ الْفُنْدُق ، وَانْتَظَرُوا الدَّلِيلَ عَلَى صِدْق الْفَتَى .

وَلَمَّا أَصْبَحَ الْقَوْمُ خَارِجَ الْفُنْدُق أَخَذَ صَيَّادُنَا الْمَاهِر قَوْسَهُ وَسِهَامَهُ فِى هُدُوء وَاطْمِئْنَان، وَانْطَلَقَ مِنَ الْقَوْس، سَهْمٌ يَخْتَرِقُ الْفَضَاء ، وَيَصْفِرُ فِيهِ صَفِيرًا شَدِيدًا ، فَمَا هِىَ إِلاَّ لَحْظَةٌ سَرِيعَة ، حَتَّى كَانَتِ الْكُرَةُ الذَّهَبِيَّة ، قَدْ غَابَتْ عَنْ قِمَّةِ بُرْجِ الْقَصْرِ الْمَلَكِىّ .

فَصَفَّقَ لَهُ الْحَاضِرُونَ تَصْفِيقًا طَوِيلاً ، وَأَقْبَلَ الْمَلِكُ عَلَى الْفَتَى ، فَحَيَّاهُ تَحِيَّةً جَمِيلَة ، وَأَمْسَكَ بِيَدِه وَقَال :

— « إِنَّ هٰذَا الْفَتَى، يَا أَصْحَابِى ؛ هُوَ مُنْقِذُ ابْنَتِى مِنَ السِّحْرِ

الَّذِى كانَتْ مَرْبُوطَةً بِهِ ، وَسَيَكُونُ مُنْذُ الْيَوْم، ابْنِي وَزَوْجَ وَحِيدَتِى » .

ثُمَّ بَارَكَ الْمَلِكُ الْعَرُوسَيْن ، وَأَهْدَى لَهُمَا نِصْفَ مَمْلَكَتِهِ وَكَذٰلِكَ الْقَصْرَ الَّذِى كانَ — حَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَة — مَسْحُورًا ، وَفُكَّ عَنْهُ السِّحْر ، بِشَجَاعَةِ الشَّابّ الصَّغِير .

أسئلة فى القصة

(١) كيف كان كل من الإخوة الثلاثة يقضى وقته ؟
(٢) ماذا رأى الأخ الأصغر فى منامه ؟
(٣) إلى أين وصل المسافرون الثلاثة أولا ؟
(٤) ما الاتفاق الذى أبرموه فيما بينهم ، بعد وصولهم إلى الغابة وهبوط الليل ؟
(٥) ماذا حدث لكل من الإخوة الثلاثة فى أثناء حراسته ؟
(٦) ماذا فعل الأخ الأصغر عندما خمدت النار ؟
(٧) من لقى فى طريقه ؟
(٨) ماذا فعل الأخ الأصغر بالليل ثم بالفجر ؟ ولماذا ؟
(٩) كم عدد العمالقة الذين رآهم الأخ الأصغر ؟ وماذا كانوا يفعلون ؟
(١٠) ما الحديث الذى جرى بين الأخ الأصغر والعمالقة ؟
(١١) ما السر الذى أفضى به العمالقة إلى الأخ الأصغر ؟
(١٢) أية خطة أوصوه بها !